في محراب القوافي

إن المتتبع للمسيرة الأدبية لسماحة آية ا السيد محمدرضا السلمان "أبو عدنان" لا يقف أمام شاعرٍ غزير الإنتاج فحسب، بل أمام مشروع أدبي متكامل امتد عبر سنوات طويلة تقارب العقود الأربعة، تنوعت فيه التجارب بين الشعر العمودي، والأراجيز، والشعر الحر، والنصوص الوجدانية، والقصائد الدينية، والأدب الفكري، وأدب المناسبات، والقصائد التأملية والإنسانية، حتى تكوّنت منه مكتبة أدبية واسعة ذات ملامح خاصة وهوية متميزة. وقد تُوِّج هذا النتاج في مرحلته الأولى بإصدار "المجموعة الشعرية الكاملة" بطبعتها الأولى، التي صدرت في ثمانية أجزاء، وضمّت باقة من الأعمال الأدبية التي مثّلت أبرز ملامح تلك المرحلة، منها: ١- إشراقات مع قصائد حرة ٢- البلدان والأمصار ٣- الأراجيز ٤- تقاسيم ٥- في ظلال "الآل" ٦- سراط الطهر ٧- شفرات ٨- رثاء ٩- المناسبات ١٠- قصائد موجهة ١١- خفقات خاطر ١٢- تراتيل ومسارات ومع تطور المشروع الأدبي واتساعه، أُعيدت مراجعة المادة الشعرية كاملة، وأُدرجت عشرات الملفات والدواوين التي كُتبت في مراحل مختلفة ضمن خطة تحريرية جديدة، روعي فيها التقارب الموضوعي وسهولة التناول وانسجام الأعمال بعضها مع بعض. وشملت هذه المرحلة عناوين عديدة من أبرزها: ١- متى كان الحب جنونًا ٢- أنفاس قلب ٣- أغاريد الأصيل ٤- قهوة الصباح ٥- موّال مسافر ٦- إشراقات رمضانية ٧- إشراقات فاطمية ٨- نشيد القوافي ٩- ملحمة كربلاء الحسين(ع) ١٠- قصائد مهاجرة ١١- أوراق لندنية ١٢- قصائد كربلائية ١٣- قواسم مشتركة ١٤- ترانيم في العتمة ١٥- قصائد حائرة ١٦- تراتيل في عالم التحولات ١٧- محطات الانتظار الصعب ١٨- بحور وقوافي ١٩- نشيد القوافي ٢٠- مناورات القريض ٢١- عندما تبتسم الذكريات ٢٢- نشيد في الصحراء ٢٣- أوراق الذاكرة ٢٤- قوافي مهاجرة ٢٥- شذى القوافي ٢٦- محطات دون توقف ٢٧- قداسة الحرف ومعبد الكلمات ٢٨- نشيد البصمات الثابتة ٢٩- كلمات في منتصف الطريق ٣٠- قصائد حسينية مهاجرة ٣١- الأرجوزة الأحسائية في الدولة السعودية ٣٢- أسماء وأفعال في الذاكرة ٣٣- الأرجوزة المشبّكة ٣٤- مراسيل صادقة ٣٥- أوراق شاعر ٣٦- عزف المشاعر ٣٧- مواقف صامتة ٣٨- رشحات قلم ٣٩- روافد الكلمات ٤٠- انتفاضة القوافي ٤١- الدر المنثور في حياة "ابن أبي جمهور" ٤٢- روافد هجرية ٤٣- مفارقات مجنّحة ٤٤- الهواجس ٤٥- أطيب الأثر في الغدير الأغر ٤٦- قصائد من الوجدان في مدح "سيد الأكوان" ٤٧- قوافي دون حروف ٤٨- نغم بلا رتوش ٤٩- قبسات في الدجى الأخير ٥٠- تغريدات الحياة ٥١- الأرجوزة العثمانية ٥٢- همسات الأقلام ٥٣- قصائد الشعر الحر ٥٤- مفاجآت في الظلام ٥٥- قهوة الصباح ٥٦- موّال مسافر ٥٧- كلمات القوافي ٥٨- نزيف

الأوردة ٥٩- مفردات بلا وتر ٦٠- مشاعر من فيض العبور ٦١- صدى الذكريات ٦٢- كلمات القوافي وقد أُعيد إخراج هذه المادة كلها في حلة جديدة ضمن «المجموعة الشعرية الكاملة» بصيغتها الموسّعة، التي صدرت في ثمانية عشر مجلدًا، يناهز عدد صفحات كل مجلد منها ستمائة صفحة، لتشكل بذلك موسوعةً أدبيةً ضخمةً توثق جانبًا مهمًّا من المسيرة الشعرية والفكرية للمؤلف. غير أن ما يلفت الانتباه بصورة استثنائية هو المرحلة اللاحقة من هذا المشروع، الممتدة بين عامي ٢٠٢٢ و٢٠٢٦م، والتي أثمرت ما يزيد على خمسة وثلاثين ألف بيت من الشعر العربي الفصيح، ما تزال قيد الإعداد للطباعة والنشر. وهي حصيلة نادرة في حجمها ووتيرتها وتنوعها، لا تمثل مجرد امتداد وإضافة كمية لما سبقها، بل تكشف عن مرحلة إبداعية كاملة ومستقلة بذاتها، حفلت بعشرات الأعمال الجديدة والمطولات الشعرية متعددة الموضوعات والاتجاهات والتي تعكس طاقة إنتاجية لافتة وحضورًا متجددًا للشعر العربي الفصيح. وتتوزع هذه الأعمال على عدد كبير من الدواوين والمجاميع الشعرية، من بينها: ١- جداول ومربعات ٢- عقود الأمل ٣- سفينة الصبر ٤- جدلية النفس ٥- هذا المحرم أمسى يبعث الذكرى ٦- من الواقع الأصيل ٧- إشراقة الحياة ٨- حروف وكلمات مهاجرة ٩- غاية الغايات ١٠- أمل العيد الثاني ١١- جداول الكلمات ١٢- أوراق في الطريق ١٣- الأراجيز ١٤- صدى الوادي ١٥- خفقات القلب الصامت ١٦- روح الأمل ١٧- شواهد القوافي ١٨- حروف ودلالات ١٩- دموع الأسى ٢٠- الأرجوزية ٢١- مشاعر منظومة ٢٢- من الوادي إلى الوادي ٢٣- أوراق ساخنة ٢٤- جذور الكلمات ٢٥- إسقاطات الطريق ٢٦- ألحان وكلمات ٢٧- أوراق بلا حروف ٢٨- إيحاءات الأيام ٢٩- موال عازف إننا أمام تجربة أدبية تجاوزت حدود الديوان الواحد والمجموعة الواحدة، لتغدو مشروعًا شعريًّا موسوعيًّا متواصلًا، يجمع بين غزارة الإنتاج، والأصالة اللغوية، والالتزام الفكري، والتنوع الموضوعي، ويجسد قدرة استثنائية على المحافظة على وهج الكتابة واستمراريتها عبر ما يقارب أربعة عقود. وهي تجربة لا تكتفي بتوثيق مسيرة شاعر، بل تقدم نموذجًا حيًّا لحضور الشعر العربي الفصيح في ميادين الفكر والدين والوجدان والإنسان، وتستحق أن تُقرأ بوصفها أحد المشاريع الأدبية البارزة في المشهد الثقافي العربي المعاصر.